العدد 38

مجلة كلية الدعوة الإسلامية

مَجَلَّةٌ إِسْلَامِيَّةٌ - ثَقَافِيَّةٌ -جَامِعِيَّةٌ- مُحَكَّمَةٌ

تصدر سنويًا عن كلية الدعوة الإسلامية

العدد 38

مجلة كلية الدعوة الإسلامية

1446 هـ 2024 م

BULLETIN
OF THE FACULTY
OF
THE ESLAMIC CALL
Vol. thirty eight
2024

- تأملات حول قانون الترابط في آيات الآفاق والأنفس والقرآن.
- طريقة الرسول ﷺ في تلاوة القرآن الكريم وتدبر آياته.
- السنة في اصطلاح مدرسة المدينة المنورة.
- الدعوة الإسلامية وآثارها في إصلاح المجتمع وتحقيق أمنه واستقراره.
- في مدلول مصطلح البلاغة وأهمية علومها وأهدافها.
- عرض كتاب التفسير الموضوعي للخالدي ونقد لمنهجه.

1446 هجرية الموافق 2024 ميلادية

مجلة كلية الدعوة الإسلامية

الشيخ عيسى الفاخري ومنهجه الدعوي والفكري

د. سالم فرج صالح رحيل
قسم الدراسات الإسلامية ـ كلية الآداب
جامعة طرابلس

ملخص البحث

يتكلم هذا البحث عن أحد علماء ليبيا في برقة وهو الشيخ عيسى بن بلقاسم بن إبراهيم الفاخري- رحمه الله تعالى- ويتطرق إلى حياة الشيخ ونشأته وما مرَّ به من مواقف صقلت خبرته، ونمَّت تجاربه، ويركز البحث على حياة الشيخ العلمية، وطلبه التَّعلم صغيراً على رغم الظروف التي مرَّ بها.

كما يركز البحث أيضاً على رحلة الشيخ العلمية والتحاقه بالأزهر، وذكر بعض شيوخه وتلامذته، ويقدم البحث شيئاً من التفصيل لمنهج الشيخ العلمي وطريقته في تصحيح العقيدة عند العوام، ومعالجته لبعض بدع الاعتقاد، ومواجهته للخرافة وتسليطه الضوء على المناهج المنحرفة وتصحيحها بطريقته الفريدة التي لاقت قبولاً في موطنه برقة وما جاورها، ونال ثقة العامة من الناس في الدعوة إلى الله، ومجالات الفتوى حيث كان المجتمع البرقاوي في أمس الحاجة لأهل العلم في ذلك الوقت.

الكلمات المفتاحية: الدعوة، العقيدة، عيسى الفاخري، تصحيح الفهم، الحكمة.

Research Summary

This research talks about one of the Libyan scholars in Cyrenaica (i.e, Barqa Province) whose name is **Sheikh Issa Belqassem al-Fakhri**. It addresses his life, upbringing, and the situations that refined and developed his experiences. It also focuses on the Sheikh's academic life and his seeking knowledge at a young age despite his difficult circumstances.

The research also focuses on the Sheikh's academic journey and his joining al-Azhar University. It presents , in some detail , the Sheikh's methods in : correcting the belief of the common people ,his treating some innovations in belief , his confronting superstition as well as his shedding light on deviant approatches and his correcting them in his unique way which was accepted in his homeland of Barqa and its surroundings. And thus he gained the trust of the general public in calling to the way of Allah and in the areas of Fatawas (advisory opinions) ,as the Barqa community was in dire need of people of knowledge at that time.

Keywords: Da`wa, Doctrine, Issa Al-Fakhri, Correcting , Understanding, Wisdom.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

أما بعد:

فإن الحديث عن العلماء وذكر مناقبهم والترجمة لهم، وتتبع علومهم، والإفادة منها؛ واجب على النخب والباحثين في عصرنا، وخاصة في هذه الأوقات التي تمر بها أمتنا من تكالب أعدائها عليها وبَثِّهم دعوات الإلحاد والدعاية للنهج العلماني، وما يتبع ذلك من الإغراء بالمجون والفحش لشبابنا الغافل عما يدبر له ليلاً ونهاراً من أعداء الأمة، لأجل ذلك كانت الدعوة ملحة للكتابة في سير علمائنا المعاصرين لأخذ العبرة منها كونها مثالاً حيًّا عما كان عليه النخب من قرن مضى ليس بعيدًا عنا، وفي سير الصالحين من العظات والعبر أكثر مما في كثير من كتب الفقه والعلوم، فقد نقل عن الإمام أبي حنيفة قوله: "الحكايات عن العلماء أحب إليّ من كثير من الفقه؛ لأنها آداب القوم وأخلاقهم[1]،

(1) المدخل، أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري الشهير بابن الحاج، ص115.

ولذلك لما قص الله تعالى على نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قصص جملة من الأنبياء قال بعد ذلك: ﴿أُولَـئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّه فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾.[1]

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم * * إن التشبه بالكرام فلاح[2]

ومن الأسباب التي دعتني للكتابة في هذا الموضوع (الشيخ عيسى الفاخري ومنهجه الدعوي والفكري) رغبتي في التعريف بشيخي الذي تلقيت عنه بعض العلوم النافعة في القراءات، والشريعة، واللغة، وأفدت من سمته وخلقه الشيء الكثير، وعلى الرغم مما كان يحمله من علم وخلق رفيع إلا أنه لم يعط قدره من العناية والاهتمام، فهذه محاولة أرجو بها أن أسلط الضوء على حياته وأخلاقه ومنهجه، وقد أكرمني الله بالتتلمذ على هذا الشيخ الفاضل والجلوس في حِلقه؛ فلعلي بهذا العمل أؤدي بعض حقه عليَّ، حيث اجتهدت في جمع ما حفظته منه من نقول، وكذلك ما تلقفته من أفواه تلامذته وأقرانه، وإني لأرجو أن يكون هذا العمل نافعاً لمن يقرؤه وناقلاً لشيءٍ من سمت شيخنا وفضلِه وعلمِهِ وعملهِ، مع قناعتي بأن هذا نزرٌ يسير مما ينبغي أن ينقل من أحوال شيوخنا وسادتنا من علماء ليبيا في هذا العصر.

إشكالية البحث

تظل الكتابة عن العلماء ومنهاجهم في الدعوة والإصلاح محط اهتمام الباحثين في هذا العصر، كما تعد الكتابة عن علماء ليبيا في القرن الماضي وذكر مآثرهم وجهودهم العلمية من أهم الأعمال التي تدعو إليها الحاجة في هذا العصر، خاصة ونحن نتلقى مناهج تدعو إلى الغلو والتطرف وتنادي بطمس علماء ليبيا مهما بلغوا من درجات في العلم والفهم، ومهما كان تأثيرهم بدعوى أن ليبيا ليس فيها علماء وأن مذهبها المالكي مليء بالبدع والخرافات، وهذا القول باطل بلا ريب، ويغني بطلانه عن الخوض في تفاصيله ونقضه، ومع ذلك فإن الحديث عن علماء ليبيا الذين بذلوا جهدهم في الدعوة إلى الله وتصحيح العقيدة وتنقيتها من الخرافات والبدع من الأعمال المهمة التي ينبغي للباحثين في هذا البلد أن ينبروا لها ويبذلوا وسعهم في جمعها ووضع سلاسل من التراجم لأعلامهم الذين واراهم الثرى وتَنقَّص المتفيقهون من قدرهم ولم يعرفوا حقهم، ولهذا

(1) سورة: الأنعام الآية 90 (التخريج على حفص).

(2) شهاب الدين أبو الفتوح السهروردي، معجم الأدباء، ياقوت الحموي، 500/2.

حاول البحث أن يجيب عن عدة تساؤلات تتعلق بالشخصية العلمية مدار البحث ومنها:

من هو الشيخ عيسى الفاخري ؟ وكيف نشأ وطلب العلم؟ وما الجهود التي بذلها للتحصيل العلمي؟ ورحلته في طلبه؟ وما طريقته في الدعوة إلى الله؟ وما أسلوبه في تصحيح المنهج العقدي والفكري في موطنه الذي عاش فيه في شرق ليبيا ؟

أهداف البحث:

1- الكتابة عن علماء ليبيا وبيان فضلهم وعلمهم.
2- التعريف بالشيخ عيسى الفاخري، وما بذله من جهد في تحصيل العلوم الشرعية.
3- التعريف بطريقة الشيخ عيسى الفاخري ومنهجه الوسطي في الدعوة والفكر.

الدراسات السابقة:

كتبت بعض البحوث والمقالات عن الشيخ عيسى الفاخري وحياته العلمية، وأشار إلى أثره الطيب بعض الباحثين، ومن الدراسات التي تكلمت عن الشيخ الفاخري رحمه الله :

1- رحيل: سالم فرج، تحت عنوان: (الشيخ عيسى الفاخري حياته ومنهجه) منشورات دار الفضيل بنغازي 2011م وقد تحدث الكتاب عن الشيخ وحياته العلمية وأشار إلى بعض فتاويه وآرائه الفقهية، كما تناول البحث طريقة الشيخ في الإصلاح الاجتماعي وقدرته على حل المشاكل التي تعرض عليه في ذلك الوقت.
2- بو اميس: يوسف عبد الله، بحث بعنوان: (جهود الشيخ عيسى الفاخري في نشر المذهب المالكي: المنهج والوسائل)، مجلة الجامعة الأسمرية، عدد(3) 2019م، وقد بين الباحث مكانة الشيخ العلمية باعتباره أحد أعلام المالكية المعاصرين في بلادنا، مشيراً إلى عنايته بالمذهب المالكي؛ واجتهاده وتشميره للحفاظ عليه من خلال بذل الجهد في تعلمه، وتعليمه ونشره - في بيئته في شرق ليبيا- بين الناس الذين كانوا يرجعون إليه في المسائل الفقهية والعلمية المختلفة، فأبلى في ذلك بلاءً حسنًا.

3- هناك عدد من المقالات نُشرت في المواقع والصفحات على الانترنت، منها مقالة بعنوان: الشيخ عيسى الفاخري علم من أعلام أجدابيا، نشرت في موقع: أجدابيا بوست، في 2013، ومقالة أخرى بعنوان: سيرة الشيخ العالم عيسى الفاخري رحمة الله عليه، في صفحة: انصاف للحقوق، في 30 مايو 2019، وبعض الصفحات الأخرى لإعلاميين ومدونين.

خطة البحث:

المطلب الأول: مولده ونشأته

أولاً- النسب والمولد

ثانياً- الصبر على محنة الاحتلال والاعتقال

المطلب الثاني- طلب الشيخ للعلم

أولا- قبل الهجرة إلى مصر

ثانياً- الالتحاق بالأزهر

ثالثاً- الحياة في مصر وأيام الدراسة

رابعاً- الطالب المتفوّق والمناضل والجندي المجهول

خامساً- معلماً ومربيًّا وموجهاً

المطلب الثالث- منهجه في العقيدة

أولاً- مظاهر الجهل بالعقيدة

ثانياً- اجتهادات الشيخ لتصحيح العقيدة عند العوام

ثالثاً- موقف الشيخ من زيارة القبور والبناء عليها

رابعاً- كلامه في مسائل التوحيد

الخاتمة

المطلب الأول- مولده ونشأته :

عاش الشيخ ظروفاً صعبة ونشأ في بيئة مليئة بالخوف والأحزان حيث الاستعمار الإيطالي لليبيا الذي بدأ عام 1911م، وكان لهذه الظروف أثرها على تكوين شخصيته، وتقوية عزيمته على طلب العلم ولبيان ذلك بشيء من التفصيل:

- **النسب والمولد:**

ولد عيسى بن بلقاسم بن إبراهيم الفاخري الأزهري المالكي عام (1322 هـ الموافق 1904م)[1] في منطقة الأبيار في ريف يسمى الصلبية وقد كانت نشأته رحمه الله في مجتمع بدوي، والمعروف أن البدو يحبون الترحال والتنقل من مكان لآخر طلباً للكلأ والمرعى، ويمكن أن نسميَ المكان الذي ولد فيه الشيخ ببرقة الحمرا كما يسميه أهل البادية.

لم تكن طفولة الشيخ سهلةً كما قد يتصور بعضهم؛ بل كان واقع الحال يدلل على أنه - رحمه الله- عاش حياةً صعبةً كغيره من الليبيين الذين قاسوا مرارة الحروب وآلام الاحتلال الذي شرد الملايين من أبناء ليبيا في تلك الحقبة من التاريخ، ولكن الشيخ ألمَّ به مرضٌ في عينيه وهو في الخامسة من العمر؛ وكانت من مضاعفات هذا المرض وآثاره أنه لم يعد يرى الأشياء واضحةً في الليل، ثم ازداد الأمر سوءاً فصار لا يرى ليلاً مع آلامٍ في العينين، وذكر أنه عولج بدواء من الطب الشعبي ولم يكن الدواء دواء؛ بل كان داء فتسبب في فقده البصر تماماً وصار كفيفاً لا يرى ليلاً ولا نهاراً، ووصف الشيخ هذه الحالة بالقول: وكانت هذه مشيئة الله ومنّه وكرمه، أن جعل ذلك سبباً في إقبالي على العلم والاجتهاد في طلبه .[2]

حقّا لقد كانت هذه مشيئة الله- تعالى- الذي لامردَّ لأمره، ومثل هذه المصائب وهذه البلايا تحتاج إلى صبر وعزيمة وثبات، فليس سهلاً أن يفقد المرؤ حبيبتيه وفي هذا العمر المبكر، وفي ظروف كالتي مرت بها ليبيا في أوائل القرن الماضي حيث الحرب، والجوع، والفقر، وعظمت المحنة بوفاة أمه "غزالة عبدالله" إثر مرض ألم بها، فصار الطفل الذي لم يبلغ السابعة بعد، يتيم الأم، ومن رحمة الله- عز وجل- أن عوضه بأخته حنان الأمومة والتي قال عنها- رحمه الله- "لم تكن أختاً فقط، ولكن كانت الأخت والأم " .

(1) رواية شفهية منقولة عن شريط مرئي مسجل للشيخ عيسى الفاخري، 1991م، وينظر: الشيخ عيسى الفاخري حياته ومنهجه، سالم فرج صالح رحيل، ص38.

(2) مذكرات جمعها مفتاح الفاخري ص10، وينظر: الشيخ عيسى الفاخري، سالم فرج رحيل، ص41.

لم تبق الأخت مع أخيها طويلاً، لأنها ما لبثت أن لحقت بأمها عام 1912م، وقد فجع الطفل في أخته التي قال عنها بعد موتها " ما عرفت فقد أمي إلا بعد وفاتها ، وصدق الله العظيم حيث يقول في كتابه العزيز: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾[1] ، وقد شق الشيخ طريقه في هذه الظروف الصعبة وما معين إلا الله ﷻ ثم والده الذي ما يزال يرعاه بين الحين والآخر، ,هكذا بدأت رحلة الشيخ وتولدت عنده الرغبة في العلم وبذل الجهد في تحصيله.

المطلب الثاني- طلب الشيخ للعلم

لقد طلب العلم عيسى الفاخري منذ الصغر، وكان يستشهد دائماً بحديث النبي ﷺ "اطلبوا العلم ولو بالصين"[2]، وبالقول القائل، "اطبوا العلم من المهد إلى اللحد"، وهذا ليس بحديث ولكن معناه الحث على طلب العلم، وأنه لا توجد سنٌّ معينة لطلب العلم، فمدارسة العلم مدى الحياة، وهذا ما تعلمناه منه بالممارسة العملية، فكان يطالع معنا كتب العلم، وقد جاوز التسعين!!.

ويمكن تقسيم المرحلة العلمية للشيخ إلى ثلاثة مراحل، وهي كما يلي:

أولاً- قبل الهجرة إلى مصر:

بدأت المسيرة العلمية للشيخ منذ الطفولة، وبعد أن كُفَّ بصره بأشهر قليلة عام 1909م، بدأ في حفظ القرآن الكريم وهو في الخامسة من العمر، ومما يذكره عن البدايات الأولى لحفظه القرآن الكريم، ودخوله الكتَّاب: فلم يكن في النجع [3] الذي

(1) سورة البقرة الآية 155 - 157 .

(2) شعب الإيمان، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، باب: في طلب العلم، والعلم إذا أطلق علم الدين، حديث رقم/ 1543، رواه البيهقي في شعب الإيمان، عن أنس بن مالك- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اطلبوا العلم ولو بالصين، فإن طلب العلم فريضة على كل مسلم) ثم قال البيهقي، هذا حديث متنه مشهور، وإسناده ضعيف، وقد روي من أوجه، كلها ضعيف. ورواية أبي بكر الدينوري عن الزنجي بن خالد؛ قال : دخلنا على الزهري ونحن غلمان، فقال لنا : (اطلبوا العلم ؛ فإن أردتم الدنيا نلتم، وإن أردتم الآخرة نلتم)، انظر: أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي، المجالسة وجواهر العلم تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن حزم، 309/2 .

(3) اسم للأحياء التي يقيمها البدو من بيوت الشعر والوبر .

كان يقيم فيه عيسى- فقيه يحفظ القرآن- وكانت عادة الناس في البادية أن يُحضر الغني منهم، وصاحب الجاه والمكانة، شيخا يحفِّظ أبناءه القرآن ويعلمهم الكتابة والقراءة، ويستفيد منه أهل النجع جميعاً، ومما يذكر للشيخ- رحمه الله- في طفولته أنه كان سريع الحافظة، ويدلل على ذلك أن الفقيه الذي استجلبه أحد أغنياء النجع بقي يوماً كاملاً يحفظ الطلبة الحروف الهجائية، ولم يحفظها أي واحد منهم باستثنائه وكان قائماً في طرف بيت الشعر الذي أعد مدرسة، ومكاناً يقيم فيه الفقيه، ومما يذكره من رواية في هذا الشأن أنه كان واقفاً عند رواق البيت يستمع، والفقيه يلقِّن الطلبة الحروف الهجائية أكثر من مرة، ثم قال من حفظ؟ فسكت الطلبة ولم يجب منهم أحد، فقال الفقيه المحفِّظ وأنت الواقف في رأس البيت هل حفظت؟ قال عيسى نعم، وقرأ عليه الحروف كما حفظها منه، فقال: بارك الله فيك يا بني "من الآن مكانك هنا بجانبي، واجلس على التَّطع[1] الذي أجلس عليه"، وكانت هذه هي البدايات الأولى للشيخ، وتقربه من العلم وأهله، ولعل هذا الموقف كان له أثر كبير في نفسية هذا الطفل وتحبيبه في العلم، ويحسن القول في هذا المقام أن مشايخ الكتاتيب الأوائل وإن كانوا على الفطرة، ولم يدرسوا طرائق التدريس، ولا مناهج التربية الحديثة، ولكن كان لهم دور بارز في تعليم العلم وتربية النشء على الأخلاق الفاضلة، وترغيبهم في العلم بأسلوب فطري مكتسب من الخبرة، والممارسة .

اجتهد عيسى بحسب ما أتيح له من فرص في تعلم القرآن الكريم، على أيدي بعض المشايخ والفقهاء، والتحق بالمدرسة القرآنية في اجدابيا سنة 1919م وقرأ على يد شيخها أحمد بن موسى السيوي حيث كان ورعاً تقيّاً مثالاً في الورع والصَّلاح، وكان يحيط الشيخ باهتمام خاص ورعايةٍ خاصةٍ، حتى إنه كان يصرف له مكافأة كانت تصرف للطلبة من إمارة إجدابيا شهريًّا تقدر بثلاثة مجيدي[2] وأيضاً كان قد تعلم بعض القرآن على يد والده كقصار السور، ولم يكن حفظه مرتباً، المهم أنه كلما ذكر له أن هناك من يُعلِّمُ القرآن قصده ليتعلم منه ولو نزراً يسيراً .

(1) فراش يعد من إهاب الماشية، مع الاحتفاظ بوبره أو صوفه، ويكون من جلود الضأن غالباً .

(2)العملة في ذلك الوقت وفقاً للنقد العثماني سميت مجيدي نسبة للسلطان عبد الحميد، مذكرات الشيخ عيسى الفاخري ، جمع مفتاح الفاخري ص25 .

ثانياً- الالتحاق بالأزهر:

وجه إليه النَّصيحة ابن عمه محمود الذي كان يدرس في مصر، طالباً منه أن يصحبه إلى الاسكندرية، و لرغبة عيسى في اللحاق بالأزهر عرض الأمر على والده فاقتنع بأن يحمله إلى مصر ليواصل تعليمه الديني هناك، ويأخذ العلم على أصوله من أفواه الشيوخ والعلماء، وكان ذلك في ربيع الأول سنة 1924م.

وصفه الأستاذ علي مصطفى المصراتي بقوله: "عيسى الفاخري جواب الصحراء، وشبهه بأبي العلاء المعري، في قطعه المفازات البعيدة، بحثاً عن العلم، شاقّاً طريقه بين الصخور"[1]، وبالفعل هذا ما حدث مع عيسى الفاخري وأبيه- رحمهما الله- فقد كان سفرهم إلى مصر شاقاً، فكانوا يضطرون للمشي على الأقدام في كثيرٍ من الأحيان، ومع قلة الماء وظروف الخوف من الطليان وقلة الزاد، كان الأمر أشبه بالمغامرة غير محسوبة العواقب.

هذا إذا علمنا أن مجرد عبور الحدود المصرية كان ممنوعاً، والقوات الإيطالية تحيط بالحدود من كل جانب، لكن عناية الله عز وجل وحفظه كانا خير حميً يحتميان به، وكما ذكر بنفسه- رحمه الله- أنه وفي أثناء عبورهم للحدود وبالضبط في مدينة امساعد الحدودية، كانت هناك ريح شديدة، وغبار، وأتربة، والرؤية غير واضحة، مما سهل عليهم عبور الحدود بسلام، ودخلوا مصر.

كانت حياةً جديدةً عليه، فهو لم يسافر قط؛ ولم يعرف من قبل العيش في مصر، لكن الله يسر له ذلك، ومن الشواهد على تيسير الله عَزَّوَجَلَّ له أموره، الترحاب الكبير، والمساعدة التي قدمها له الحاج (حمد بورسلان من قبيلة القطيفة أولاد علي) وذلك في مرسى مطروح، حيث لقيه في الفندق وعرض عليه المساعدة، وقال له بالحرف الواحد: (اعتبرني مكان والدك) وأبدى استعداده لدفع أجرة الفندق، وقال لصاحب الفندق: "جميع ما يصرفه على حسابي" وكان من التجار الكبار الذين يبيعون الإبل، والأغنام، والمواشي بشكل عام .

(1) علي مصطفى المصراتي، نماذج في الظل، ص195 .

ثالثاً- الحياة في مصر وأيام الدراسة:

كانت بدايات الالتحاق بالمعهد الديني سنة 1926م ولكن ليلتحق الشيخ عيسى بالمعهد الديني الذي يُعدُّ أحد فروع الأزهر بالاسكندرية، والدراسة فيه نظامية، لابد أن تتوفر فيه عدة شروط وهي:

1- أن يكون الملتحق بالمعهد حافظاً للقرآن الكريم كاملاً .

2- ألاَّ يقل عمره عن اثنتي عشرة سنةً، وألاَّ يزيد عن ست عشرة سنة.

3-ألاَّ يكون به مرض معدي.

4- أن تكون له أوراق ثبوتية[1] رسمية تثبت هويته معتمدة من إيطاليا حكومة الاحتلال.

5- كذلك لا بد أن يوافق شيخ الحارة، ثم العمدة، ومدير الناحية، والمحافظ، والأمر ليس هيناً كما هو متوقع في ذلك الزمان .

قال الشيخ: "لم أكن أعرف من هذه الأمور شيئاً، قال وقد ساعده نقيب المحامين الشرعيين محمد عبد النبي الجازوي في إتمام إجراءات التسجيل في الأزهر دون الالتجاء لإيطاليا، فيعلم الله كم كنت أبغض إيطاليا وقد عافاني الله من الاستعانة بها في موضوع الدراسة" .[2]

رابعاً- الطالب المتفوِّق والمناضل والجندي المجهول:

لقد جسَّد عيسى الفاخري دون مبالغة طيلة أيام دراسته في مصر كل هذه المعاني؛ بل لقد كان كذلك طيلة أيام حياته، وكان تفوقه منذ البدايات الأولى، ولم يصده العمى والعوز والحاجة عن إيمانه بضرورة الذود عن الديار وتحرير الأرض من أيدي الطليان الغاصبين، ولما التحق الشيخ بالدراسة في المعهد وتفوق في الابتدائية سنة 1931م، وكان مستواه الأول في المعهد، والثاني على القطر المصري بين المكفوفين، فرح الطلبة الليبيون بهذا التفوق؛ وكأنه قد نال شهادة عالمية، وقال أيضاً: وفي هذه الأثناء قدم: الباشا صالح الاطيوش الاسكندرية والتقى بي، وقد حدثه أصدقائي البرقاويون عني وعن تفوقي في الدراسة، ففرح بي فرحاً شديداً جدا، وقال لي وبلهجة

(1) على المصراتي، ص195 .

(2) مذكرة الشيخ عيسى الفاخري ص24 .

عامية معبرة: "أيوه اجَّدْعن اجَّدْعن ياوْلِدِي لكن ايفكنا الله من هالهامة - يعني إيطاليا- وترجع لهذاك الوطن واتجاهد، واتعلم الكبار العلم، والصغار القرآن"[1] وبالفعل تمضي الأيام سراعاً، ويشاء الله أن يتحقَّق هذا الكلام بعد أربع عشرة سنة بالعودة للوطن، ويعلم الشيخ عيسى الفاخري العلم والقرآن للعام والخاص .

قُدِّر لعيسى الأزهري أن يواصل المسيرة وحده وما من معين له إلا الله- تعالى- ثم تعاضد إخوانه من طلبة العلم الشرعي، وأساتذة الأزهر الذين قرَّروا أن يجعلوا له راتباً شهريّاً نهاية كل شهر، ويذكر الشيخ أنه كان قد تعرف من قبل في الاسكندرية على طالب يدعى: محمد مصطفى رضوان – من بلدة ريفية تبع محافظة أسيوط، وكذلك طلبة آخرين ذكر منهم طلبة من اللقانة بالبحيرة مثل: إبراهيم هيكل، وعبد المجيد رضوان، ومصطفى عبد الرحمن، وعبد المجيد علي داوود، وكذلك عبد الله اكريم السملوسي، كل هؤلاء كانوا يستضيفونه في القسم الداخلي للطلبة ويهتمون بأمره، ويكرمونه ويؤنسونه مما خفف عنه مرارة الغربة، وقد وصف طيبتهم بقوله: "أرغموني على العيش معهم دون دفع أي قيمة، اللّهم إلا خمسة عشر قرشا في الشهر، وكانوا يعدون الطعام تبعاً لرغبتي، وقد ارتحت معهم راحة تامة"[2]، وقد كان يتذكَّر هذه الأيام على الرغم مما كان يكتنفها من التكدير أحياناً، والصفو أحياناً أخرى، ومع ذلك فقد كان يعدها من أروع أيام الدراسة؛ لما كان فيها من حماس، ومنافسة بين نظرائه في الصف، حتى نال الشهادة الثانوية الأزهرية بتفوق، وكان ذلك في 15 شوال 1353هالموافق 20 يناير 1935م .

ومن شيوخه الذين تلقى عنهم العلم في الأزهر: الشيخ محمد حسن الباقوري الذي كان يحضر محاضراته باهتمام بالغ، وقد أثنى عليه كثيراً، والشيخ الغرباوي، والشيخ محمد الفحّام، وغير ذلك كثر، وذكر أنه تلقى العلم على أكثر من عشرين عالماً في الأزهر .[3]

(1) شريط مسجل للشيخ عيسى الفاخري،2/ 1991م .

(2) الشيخ عيسى الفاخري حياته ومنهجه ص85 .

(3) ينظر: على مصطفى المصراتي، نماذج في الظل، ص195 .

خامساً- معلماً ومربيًّا وموجهاً:

بعد تخرجه من الأزهر وحصوله على العالمية سنة 1940م، عزم على القدوم لليبيا وعاد 1944م، وبعد فتح المعهد الشرعي في البيضاء ثم جامعة الإمام محمد بن علي السنوسي عُيِّن أول معلم وطني، ومما ذكره عن تلك الفترة، قال إخواننا المعلمون الأزاهرة من مصر كانوا يفضلون تدريس مادة الفقه، والمواد الشرعية بشكل عام من سيرةٍ وتفسيرٍ وغيرها، وكانوا يختلفون حول الأحقية في هذه المواد، فكنت أقول لهم أنتم ضيوفنا، فاختاروا ما ترتاحون إليه من مواد، والمادة التي تفضل- يعني تبقى منكم- أتركوها لي فأنا على استعداد تام لتدريسها، ولا تقيموا خلافاً من أجلها، قال: فأسندت إلي مادة النحو، ووجدت الطلبة متخوفين منها، والمقرر عليهم شرح بن عقيل على ألفية ابن مالك، ولا يخفى أن هذا منهج دسم، ويحتاج إلى مذاكرة، ومدارسة، واجتهاد لفهمه، فلاحظت قلقاً كبيراً عند عموم الطلاب، فأول ما ابتدأت به في شرح هذه المادة قلت لهم: لم هذا التخوف من مادة النحو؟، فالنحو أسهل مما تتصورون، لأن مادة النحو متكونة من ثلاثة أشياء فقط، وهي: الاسم، والفعل، والحرف، وبدأت أحبِّبهم في المادة، ومن هنا انطلقت معهم، ويوماً بعد يوم، صار الطلبة يحبون مادة النحو، وينتظرونها بشغفٍ كبيرٍ، وكنت أحتاج إلى من يطالع لي من الطلبة، فكان محمود خطاب، على رأس الطلبة المجدين المستعدين لذلك، وكذلك محمود فايز وغيرهم من الطلبة يقومون بهذه المهمة.[1]

قال عنه الشيخ محمد رشيد- رحمه الله-، وهو أحد طلبة الجامعة الإسلامية في البيضاء: لم يكن الشيخ في البيضاء أستاذاً فقط، بل كان أباً عطوفاً، يقدم النصح والتوجيه، ومما حفظناه عنه، أنه كان يقول: "لا تعطوا الفتوى إلا بعد التأكد والتريث، فالفتوى ليست هينة". [2]

(1) ينظر: الشيخ عيسى الفاخري حياته ومنهجه، ص91.

(2) الشيخ محمد رشيد محمد الطنفاري المغربي، رواية شفهية - 13-9-2007م. (الشيخ محمد رشيد الطنفاري المغربي، أحد الخرجين الأوائل من الجامعة الإسلامية، حيث تخرج سنة 1967م، وكان أحد الخطباء والدعاة القدامى، مهتم بالاطلاع العلمي، يحفظ متن العشماوية في الفقه المالكي، وغيرها من المتون، ينظر: الشيخ عيسى الفاخري، سالم فرج، ص92.

وكان الشيخ في البيضاء يخطب في مسجد (الزاوية القديمة)، وكان يحضر خطبته جمع غفير من أساتذة الجامعة الإسلامية، نذكر منهم على سبيل المثال: العلامة الشيخ: عمر الهمامي التونسي رحمه الله والشيخ زروق حسب الله المصري، والشيخ أشرف الجزائري، وغيرهم، وهؤلاء الشيوخ والأساتذة من خريجي الأزهر في ذلك الزمان، رحمهم الله جميعاً .[1]

كان رحمه الله يجل العلماء ويقدرهم، وعندما يذكر أمامه بعض الشباب الذين يتقولون في أهل العلم ويصنفون ويجرحون ويقدحون في بعض الفضلاء من العلماء، كان يقول إن هؤلاء الشباب لم يتخلقوا بأخلاق أهل العلم ومما حفظ عنه في هذا الشأن قوله: "إن الذي لم يتربَّ على أيدي العلماء، في الغالب تجد عنده غلظة، وفظاظة، وكثيرا ما يشذ عن الإجماع" . [2]

المطلب الثالث- منهجه في العقيدة:

لكي نتكلم عن منهج الشيخ- رحمه الله- في العقيدة لابد أن نذكر بعض المفاهيم في هذا الباب وهي مفاهيم ومصطلحات لا غنى عنها، حتى يتسنى لنا التعرف على منهجه بشكل صحيح، وسأوضحها على النحو الآتي :

المنهج: لغة: الطريق الواضح [3] ومنه قوله تعالى: ﴿ **لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا** ﴾[4] وقال أبو العباس محمد بن يزيد المبرد الشريعة: ابتداء الطريق، والمنهاج الطريق المستمر.[5] وعرف القرطبي المنهاج بالطريق المستمر وهو النهج والمنهج أي البين قال الراجز:

من يك ذا شك فهذا فلج ** ماء رواء وطريق نهج [6]

(1) رواية شفهية مسجلة للشيخ محمد رشيد- رحمه الله .

(2) رواية شفهية شريف الشارف 14-1-2009م.

(3) ترتيب القاموس المحيط، الطاهر الزاوي، فـ (النون) باب: نأج، 1/ 448 .

(4) سورة المائدة الآية 48 .

(5) تفسير فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، ج2 ص200 .

(6)تفسير القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي فرج الأنصاري، 6 /200 .

العقيدة: لغةً: مشتقة من العقد، وهو الربط المحكم، يقال: عقد العهد واليمين- أكَّدَهما [1]قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ ﴾[2] و يعقد عقدًا، إذا باشر الربط بنفسه وجاءت مادة عقد في لسان العرب، وأفادت حالات وهيآت متنوعة، وكلها تدور حول معنى: الربط والإلصاق والإلحاق، ومنه قول أبو خراش الهذلي :

كم من عقيدٍ وجارٍ حلَّ عندهم ** ومن مجارٍ بعهد الله قد قتلوا [3]

واصطلاحاً: يدور معناها حول الإيمان بالغيبيات، والتسليم بالأخبار الصادقة من دون المشاهدة والحس، ولقد كان الإمام مالك يطلق عليها مسمَّى الدين لعظم مكانتها، وما تمثله من قدرٍ في الإسلام، فقد صح عنه -رحمه الله- قوله: (الكلام في الدين أكرهه ولم يزل أهل بلدنا يكرهون القدر ورأي جهمٍ وكل ما أشبه ذلك). [4]

كان الشيخ على عقيدة وطريقة السلف، وكل حياته التي قضاها في مجال الدعوة تشهد بذلك، سواءٌ في ذلك تمسكه بصفاء المعتقد وحثّه على تطهير القلوب من كل ما يشوب العقيدة ، كالثقة في غير الله أو اعتقاد أن هناك من يجلب نفعاً، أو يدفع ضراً غير الله تعالى، أو محاربته للبدعة والخرافة، وقد اشتهر بذلك- رحمه الله-، قال الشيخ محمد الشريف:"كان لأستاذنا وشيخنا عيسى الفاخري دور كبير يذكر ويشكر في نشر التوحيد وتخليص الناس من البدع والخرافات والعقائد الفاسدة"، ويقول الحاج نصر السنوسي[5]: أثر عن الشيخ أنه كان يركز على التوحيد في خطبه ودروسه التي كانت تقوم على- التوحيد الخالص لله تعالى- المستمد من النصوص الشرعية، وذلك أنه لما قدم مدينة إجدابيا، وجد عامة الناس في جهالة، وخاصة في مسائل العقيدة وقضايا التوحيد. [6]

(1) لسان العرب لابن منظور الإفريقي، (مادة: عقد) 10 /221 .

(2) سورة النساء الآية 33 .

(3) لسان العرب، 10 /221.

(4) الانتقاء لابن عبد البر ص69 .

(5)هو- نصر السنوسي إبراهيم، من مواليد سنة 1956م، تعرف على الشيخ، سنة 1983م، وكانت صحبته له من ذلك التاريخ إلى وفاة الشيخ، وقد درس عليه علم الفرائض، والتفسير والسيرة، وخاصة تفسير آيات الأحكام، وكان الشيخ يخصه بما لا يخص به غيره، وقد قرأ عليه بعض المؤلفات لعلماء معاصرين، مثل الفتاوى القرضاوي، ورسائل للشيخ العثيمين- رحمهما الله- وغيرهم.

(6) رواية شفهية نصر السنوسي، 24-9-2007م .

أولاً- مظاهر الجهل بالعقيدة:

من مظاهر الجهل بالعقدية، وهي تعد مفاهيم فاسدة للعقيدة حقيقةً، وكانت سائدة في المجتمع البدوي للأسف، وهي تصرفات يقوم بها العامة دون أن يعرفوا أنها تضر بالعقيدة، وتناقض التوحيد ما يأتي:

1- الالتجاء إلى الأموات من الأولياء والصالحين؛ لدفع الكربات، وجلب المنافع والبركات، والاعتقاد بأنهم ينفعون ويضرون .

2- التقرب إلى الأموات بذبح الأضاحي، وتقديم القرابين والهدايا .

3- زيارة أضرحة الأولياء والصالحين، بقصد إظهار محبتهم، حيث كانوا يأكلون الحصى والتراب بجنبات القبور، ويتمسَّحون بقبورهم بنية التبرك، وربما أخذ بعضهم من القماش المنصوب على القبر، وربط به يده ليجعلها كحرز يقيه من الأمراض والبلايا، حسب اعتقاده .

ثانياً: اجتهادات الشيخ لتصحيح العقيدة عند العوام:

لقد اجتهد الشيخ-رحمه الله تعالى - في النُّصح والإرشاد إلى التوحيد الخالص، وحثِّ على نبذ البدع والعقائد الفاسدة، مما جعل بعض المتشدِّدِين من أتباع الطرق الصوفية يتهمونه بالوهابية، وذلك لأنهم لم يعرفوا المنهج الذي كان عليه الشيخ من الوسطية والاعتدال، أما إذا تعلق الأمر بمسائل الاعتقاد وأصول الدين وثوابته، فكان لا يهاود ولا تأخذه في الله لومة لائم، مع الأخذ بالرفق وموادعة الناس بالحسنى كما سيأتي بيانه- إن شاء الله- في الحديث عن التوحيد، ونستطيع أن نقسم منهجه في الدعوة للعقيدة الصافية، وتنقيتها من الشوائب، إلى ما يأتي:

1- الدعوة بالحسنى واللين والرفق، والبشارة والتحبب قبل التحذير والإنذار: وهذا هو الأصل في الواقع، فالدين يقوم على البشارة والإحسان والمسامحة واللين، وقد ذكر معنى البشارة في كتاب الله خمس عشرة مرة، تقدم في معظمها البشارة على الإنذار، وهذا من عظيم رحمة الله تعالى وبالأخص في المواضع التي كان السياق فيها يتحدث عن الرسالة وإرسال المرسلين، وإبلاغ النبيين،

كما في قوله تعالى:[1] ، وكذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ **أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ**﴾[2] ، إلى غير ذلك من المواضع التي قدِّمت فيها البشارة على الإنذار .

أما الموضعان اللذين قدم فيهما الإنذار، وهما في سورتي- الأعراف، وهود- وهما قول الله تبارك وتعالى: ﴿ **وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ**﴾[3] ، وقول الحق جل وعلا: ﴿**أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ**﴾[4] ، فقد كان الحديث فيهما عن المسائل العقدية، وكأن المعنى إذا كان الأمر يتعلق بمسائل العقيدة وانتقل الخطاب من كونه حديثا عن الرسالة والرسول وواجبه بشكل عام إلى ما هو أدق، فالحكم هنا يختلف، فلابد من التبيين للمخاطب والتعيين بعاقبة عمله وسوء فعله ، بإنذاره قبل إعذاره، وتحذيره قبل تبشيره، والله أعلم.

2- لقد كان منهج الشيخ عيسى الفاخري رحمه الله في الدعوة إلى تصحيح العقيدة بإنكار المنكر بأسلوب راقٍ، وبحكمة الداعية المنصف، وكثيراً ما كان يردد قول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهو في صحيح البخاري وفيه: "إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين"[5] والشيخ كان له أسلوبه الخاص في تصحيح العقيدة وبالذات عند العوام، حيث كان منهم المتعصبون لهذه الخرافات، حتى إنه من الصعب أن تنكر في وسط هذا الجو المليء بالبدع، وليس من السهل على أي داعية أن يعرض أو يقدم أو ينكر ما كان يفعله بعض الجهلة من الذبح عند القبور والاستغاثة بأهلها.

(1)سورة المائدة الآية 19 .

(2)سورة المائدة الآية 9 .

(3)سورة الأعراف الآية 188 .

(4)سورة هود الآية 2 .

(5) الحديث عن أبي هريرة قال :قام أعرابي فبال في المسجد ، فتناوله الناس ، فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: "دعوه وهريقوا على بوله سجلا من ماء، أو ذنوبا من ماء، فإنما بعثتم ميسرين، ولم تبعثوا معسرين" كتاب: الطهارة، باب: صب الماء على البول في المسجد، صحيح البخاري رقم/202 .

وما يؤكد ذلك أن أحد متشدِّدي الصوفية، نقل له بعض الوشاة والجهلة أن الشيخ يتقول في الأولياء و ينكر على الصوفية، فأخذ سكيناً وقال: والله أذهب إليه وأسمع منه إذا سمعته ينكر على الصالحين قتلته بهذا السكين، فجاء إلى الشيخ وهو في درس عن توحيد الله تعالى وأسمائه وصفاته، فما إن جلس ذلك الرجل في الدرس وسمع ما يقوله الشيخ حتى هدأت نفسه، ولم يقم حتى فرغ الشيخ من درسه، وعندها قال الرجل: "والله ما أحسن كلامه فلم أسمع منه إلا- قال الله قال الرسول-، والله هذا الشيخ رجل صالح ومبارك"، وصار ذلك الرجل من تلامذة الشيخ وجلسائه ومحبيه. [1]

ومن الأمثلة أيضاً؛ أن أحد تلامذته كان يدعى المبروك، كان يتردد على الشيخ ويحرص على الجلوس إليه، ولكنه كان يبيع الأحجبة فمازال به الشيخ يحاوره ويقنعه بأن هذا الفعل حرام، وأنه مناف للشريعة حتى أقلع عن ذلك، وصار من المحبين والمقربين للشيخ . [2]

لأن الشيخ كان يترفق في الدعوة، وفي درسه كان لا يجرِّح ولا يعنف، بل كان يبين الحق ويعرضه عرضاً، وهذه هي الحكمة النبوية في الدعوة إلى التوحيد حيث قال الله عَزَّوَجَلَّ لنبيه: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ**﴾. [3]

ولو كان الشيخ عيسى يقول لهم ما يقوله بعض المتشددين في الدعوة اليوم، لما تقبل منه الناس ولأعرضوا عنه، وقد ينكرون الحق لا لذاته ولكن لسوء تقديمه وعرضه.

ثالثاً- موقف الشيخ من زيارة القبور والبناء عليها:

نذكر في هذا الشأن أن الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ كان يحارب بدعة البناء على القبور وزيارتها بغية التبرك بأهلها وساكنيها، وتحذيره من هذه البدعة، ولكن كل هذا التحذير وهذه المدافعة للأباطيل والخرافات، كان له عدة صور فأحياناً يقدمه في قالب من الفكاهة، وعرض على سبيل المداعبة والطرافة، حتى يعلم جلساؤه أن هذه الخرافات

(1) الشيخ عيسى الفاخري حياته ومنهجه، ص129 .

(2) رواية شفهية محمد الشريف 24- 9- 2007م .

(3) سورة آل عمران ص159 .

والبدع ليست من الدين في شيء، وأحياناً يكون بالتعريض بمثل هذه التصرفات التي لا تمت للدين بصلة، وكان يرى أن هذا من بقايا الجاهلية.

وقد ذكر أن البناء على الأضرحة وإقامة النصب عليها عادة تلقفها العامة من مخلفات الدولة الفاطمية، وأول من قال بها من العلماء هو: الإمام يحيى بن حمزة (الزيدي)، كما ذكر ذلك الشوكاني فقال: " اعلم أنه قد اتفق الناس سابقهم ولاحقهم، وأولهم وآخرهم من لدن رسول الله ﷺ والصحابة رضي الله عنهم إلى هذا الوقت، أن الرفع على القبور والبناء عليها بدعة من البدع التي ثبت النهي عنها؛ واشتد وعيد رسول الله ﷺ لفاعلها، ولم يخالف في ذلك أحدٌ من المسلمين أجمعين، لكنه وقع للإمام يحيى بن حمزة مقالةٌ تدل على أنه يرى أنه لا بأس بالقباب والمشاهد على قبور الفضلاء، ولم يقل بذلك غيره، ولا روي عن أحد سواه".[1]

وكما هو معلوم فإن المذهب السائد في ليبيا هو المذهب المالكي، والشيخ رحمه الله كان مالكي المذهب، على الرغم أنه لم يعرف بالتعصب لمذهب معين؛ ولأن بعض الجهلة يلصقون بالمذهب المالكي ما ليس منه، جهلاً بحقيقة ما عليه المالكية الأوائل من التوحيد الخالص، ونبذ الابتداع في الدين، ويكفي أن نعرف أن الإمام مالك كان حذرًا أشد الحذر في هذه المسألة لذلك نقل الإمام الطبري عن أصحاب الإمام مالك، أن مالكاً رحمه الله كره أن يقول: زرت قبر النبي ﷺ ، وعلل ذلك بقوله ﷺ: "اللّهُمَّ لا تجعل قبري وثناً يعبد"[2]، وكره إضافة هذا اللفظ إلى القبر، لئلا يقع التشبُّه بفعل أولئك، سداً للذريعة' قال ابن القاسم : وكان مالك يكره أن يقول الرجل طواف الزيارة ، قال وقال مالك: "وناس يقولون زرنا قبر النبي عليه الصلاة والسلام، قال: فكان مالك يكره هذا ويعظمه أن يقال إن النبي يزار".[3]

قال القاضي عياض: وكره مالك أن يقال: زرنا قبر النبي ﷺ، وقد اختلف في معنى ذلك فقيل: كراهته الاسم الوارد من قوله عليه الصلاة والسلام: "لعن الله

(1) العلامة محمد بن علي الشوكاني، مجموعة رسائل (شرح الصدور بتحريم رفع القبور، رفع الريبة عما يجوز ومالا يجوز من الغيبة، الدواء العاجل لدفع العدو الصائل) الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة السادسة، 1411هـ، ص8.

(2) موطأ مالك، باب: جامع الصلاة، /414.

(3) المدونة الكبرى، رواية الإمام سحنون بن سعيد التنوخى عن الإمام عبد الرحمن بن القاسم، ضبط وتخريج: محمد تامر، كلية دار العلوم، قسم الشريعة مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 2004 م 425/1 .

زوَّارات القبور"[1]، والمعنى أنَّ مالكاً رَحِمَهُ اللَّهُ كره ذلك لخشيتة أن يقع في التسمية بزيارة القبر، ولعل الامام مالكا يستحب في ذلك أن يقال سلمت على النبى ﷺ بدلا من زرت.

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن سبب كراهة الإمام مالك أنه أدرك التابعين، وهم أعلم الناس بهذه المسألة، فدلَّ ذلك على أنه لم يكن معروفاً عندهم ألفاظ زيارة قبر النبي ﷺ، .... إلى أن قال-: وقد صار كثيرٌ من الناس يستحلون به الزيارة البدعية، والتي قد يصاحبها ما ينافي العقيدة، مثل قصد الميت لسؤاله، والاستغاثة به، والتوجه إليه في الملمات والحوائج ونحو ذلك، ولهذا كره مالك أن يُتكلم بلفظ مجمل يدل على معنى فاسد، بخلاف الصلاة والسلام عليه، فإن ذلك مما أمر الله به.[2]

وقد كان الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في مجتمع بدوي تغلب عليه الأمية، لذلك كان يخاطبهم على قدر عقولهم، وعلى نحو ما يفهمونه، وفي هذه المسألة بالذات جاءه أحد السائلين ممن توفي والده وكان ذا شأن وشرف، وأراد البناء على قبره، فقدم إلى أجدابيا قاصداً المجلس البلدي في ذلك الوقت، وكان هذا المجلس مكونا من أعيان القبائل ويُعنَى بالبت في مثل هذه المسائل ومساعدة المحتاجين والمتضررين، وهذا الرجل قدم إليهم ليساعدوه في عملية البناء، وإقامة الضريح، فبعضهم أبدى الموافقة والاستعداد، واعترض ممثل قبيلة السعيط، وهو الحاج سعد بواجريعيد السعيطي، وقال له: "نحن سمعنا أن البناء على القبور حرام، فاذهب إلى الشيخ عيسى فاسأله في هذه المسألة، فإن قال لك جائز، تعال وسنساعدك في هذا الأمر، فذهب الرجل للشيخ ليسأله فقال يا شيخ: "الناس في بلدتي يريدون أن يبنوا ضريحًا وقبة على قبر والدي فما رأيك؟ فقال له الشيخ: إن كنت ستسمع رأيي وتعمل به نبأتك بالحكم الشرعي، أما إذا أردت السماع لمجرد السماع؛ وستعمل ما في عقلك، فإن كلامي ليس زائداً علي، فقال بل سأعمل بما تقول، فقال له الشيخ: البناء على القبور حرام، وغير جائز، فإياك أن تبني، وإذا بنى شخص ما- على أبيك فلك الحق بهدم البناء؛ لأنه حرام، ولأنه قبر والدك"، , قد ذكر الشيخ عيسى أن هذا الرجل مازال يبحث عن فتوى، وعن مجيز لهذا الفعل،

(1) السنن الكبرى، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، باب: ما ورد في نهيهن عن زيارة القبور، /7455.

(2) مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، 385/24.

فذهب إلى مدينة سلوق ليسأل الشيخ: مفتاح بواعميه[1]، فجاءه وذكر له الخبر ثم قال: ومازحته وقلت: وقد جئتُ الشيخ عيسى وسألته فقال لي جائز، قال: فالتفت إلي مغضباً وقال: والله الشيخ لا يقولها، ثلاث مرات، "لما علم من منعه- رحمه الله- البناء على القبور واتخاذها مزارات للتبرك بأهلها وساكنيها" ثم قال للسائل لتأكيد الحكم عليه وتلطف معه على نحو مما تعارف عليه المشايخ في ذلك الزمان وباللهجة العامية: "وأنا لو نعلمك بنيت على بوك سوطتك اسواطاً".[2]

إن بيان الخطأ في مسائل من هذا القبيل يحتاج إلى حكمة، واستعمال الشدة في موضعها واللين مع السائل وإرشاده إذا فهم العالم أن ذلك أنفع لحال المستفتي وأرجى للقبول والاتباع، وهذا ما كان واضحاً من مقامات النهي والإرشاد التي كان يتبعها الشيخ في بيان هذه المخالفات وتصحيح الأفهام لدى العامة في هذه القضايا الحساسة التي أثارت جدلاً في بلادنا، وكان التغيير في بعض المناطق وخاصة في وسط ليبيا وشرقها من أصعب المسائل وأكثرها إشاعة للفتنة، لكن الشيخ عيسى بأسلوبه وإقناعه للناس، واستخدامه للأدلة من كتاب وسنة دون إفراط ولا تفريط، جعله محل ثقة العام والخاص، واستطاع أن يغير من بعض السلوكيات في هذا الجانب رغم حساسيته عند بعض الناس.

رابعاً- كلامه في مسائل التوحيد:

إذا أردنا الحديث عن التوحيد بصوره الثلاثة" توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات" فقد كان رحمه الله يجملها تارةً، ويفصلها تارةً أخرى مراعاةً لحال السائل والمستفتي، مع ملاحظة أن الشيخ رحمه الله كان لا يحب الخوض في الأسماء والصفات، وكثيراً ما كان يستشهد بكلام الإمام مالك رحمه الله عندما سئل عن قوله

(1) يعد الشيخ مفتاح بو اعمية الفاخري، من العلماء الأوائل، وهو من الخريجين الأوائل من الأزهر الشريف، درس القرآن والعلوم الشرعية بالجغبوب، ثم التحق لدراسة العلوم الشرعية في الأزهر الشريف، وتعلم الجغرافيا والتاريخ والفلسفة، وقد برع في هذه العلوم، وكان ذهابه لمصر سنة 1906، توفي سنة 1984م، فرحمه الله رحمة واسعة، انظر: الشيخ عيسى حياته ومنهجه، ص137.

(2) شريف الشارف رواية شفهية،21-5- 2008م، والسواط بالدارجة، مأخوذ من السوط، وهو الضرب بالسوط، ينظر: مختار القاموس، مادة: (س و ط)، ص316 .

تعالى:﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [1]، "الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة".[2]

وإذا تخاصم أمامه اثنان في مسألة الأسماء والصفات، وذكر أمامه ما يقوله ويتناقله بعض طلبة العلم من مسائل وقضايا عقدية، بخاصةٍ ما يتعلق في قضايا الأسماء والصفات كان يقول: "نحن على عقيدة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما" ويقصد بهذا عقيدة السلف الصالح.[3]

وجاءه شاب من طلبة العلم يقال له منذر الطرابلسي: وهو أحد تلامذة الشيخ العلامة يوسف طاباق من علماء الزيتونة [4] فقرأ على الشيخ عيسى بحثاً في الأسماء والصفات، كان قد جمع فيه من أقوال أهل العلم والآثار التي وردت عن السلف في هذا، وذكر فيه أقوال المعتزلة، والأشاعرة، والمرجئة وغيرهم، وردود أهل السنة وأدلتهم، مستشهداً بكلام الأئمة الأربعة وغيرهم من علماء السلف، فاستوقفه بعد ما سمع منه مجمل البحث ثم قال: "هذا كلام طيب وصحيح، لكن هذا كلام لا يقال للعامة، ويكفي الناس أن يصفوا الله بكل كمال وينزّهوه عن كل نقص"[5]، وقال بعض تلامذة الشيخ: "كنا نعد هذه قاعدة ذهبية في مسألة الأسماء والصفات"[6]، وهذا لا يعني أن الشيخ عيسى لم يكن متضلعاً في علم الكلام ولا عارفاً بمنهج الأشاعرة وغيرهم من علماء السنة الذين ردوا على الملاحدة وواجهوا المعتزلة وغيرهم من أرباب الفرق الضالة بما يناسبهم من حجاج المتكلمين، ولكنَّ

(1)سورة طه الآية 5 .

(2) روي أن الإمام مالكا كان في مجلسه فجاءه رجل، فقال: يا أبا عبد الله، ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ كيف استوى؟ فما وجد مالك من شيء ما وجد من مسألته، فنظر إلى الأرض، وجعل ينكت بعود في يده حتى علاه الرحضاء ـ يعني العرق ـ ثم رفع رأسه ورمى بالعود، وقال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وأظُنُّك صاحب بدعة، وأمر به فأخرج، وفي رواية ،قال له مالك، وإني لأظنك ضالاً فناداه الرجل، يا أبا عبد الله، والله الذي لا إله إلا هو، لقد سألت عن هذه المسألة أهل البصرة ، والكوفة والعراق، فلم أجد أحداً وفق لما وفقت إليه) انظر: الأسماء والصفات للبيهقي، 306/2، ومالك حياته وعصره لمحمد أبي زهرة ص193 .

(3) رواية شفهية ، شريف الشارف ، 21- 5- 2008م .

(4) رواية شفهية نصر السنوسي، 10-1-2009م .

(5) رواية شفهية ناصر محمود مطرود، 21 - 5 - 2008م .

(6) رواية شفهية شريف الشارف، نصر السنوسي، 4-5-2009م .

الطريقة التي ارتضاها الشيخ في هذا المقام تتناسب والبيئة التي عاشها وطابع الفطرة الذي عليه أهل البادية لا يحتاج إلى الغوص في هذه المسائل ولا التشويش عليهم في هذا الباب؛ لذلك قال لهذا الشاب المتحمس: "ويكفي الناس أن يصفوا الله بكل كمال وينزِّهوه عن كل نقص".

وجاءه بعض الإخوة العرب من مدينة السودان، وهم من الشباب المتدين، والمتحمِّس وكانوا يتجادلون في مسائل القدر، والجبر والاختيار في الأفعال، وهل الإنسان مسيَّر أم مخير، فكره إجابتهم، وكان هذا بحضور الدكتور غيث الفاخري رحمه الله فأحال الإجابة إليه، فأجابهم الدكتور غيث، بما هو مقرر عند أهل السنة في هذه المسائل.[1]

ومن هنا يتبين أن الشيخ عيسى- رحمه الله- كان في هذه المسائل الحساسة مقتدياً بنهج السلف بعدم التعرض لهذه الأمور والخوض فيها، خاصة وأن التنزيه لله تعالى يقتضي عدم فتح الباب للعامة والمبتدئين للحديث في ما تحرج منه الأئمة الكبار كأمثال الإمام مالك والشافعي وأحمد وغيرهم كما عدوا الخوض فيه من بدع الأقوال، وهذا ما يحسن بالعالم في عصرنا، إلا إذا دعته الحاجة لتوضيح معنىً أو بيان ما اشتبه على الناس فهمه، وذلك يكون بقدر وحكمة بحسب السائل والمتلقي وحاجته للبيان.

الخاتمة

في ختام هذا البحث يتبين بوضوح لكل قارئ منصف أن علماءنا في القرن الماضي كان لهم دور بارز في بيان العلم الشرعي وتوضيحه للناس، واتبعوا في أسلوبهم البلاغ بالحسنى، وإيضاح الحق بالطريقة التي تسهل على المتلقي من غير إفراط ولا تفريط، وهذا ما اتبعه الشيخ عيسى الفاخري في تعليمه العلم وبيانه للناس، كما أن الأسلوب الذي اتبعه الشيخ وطريقته في تلقين طلبة العلم والعامة كان فيها من التحبب واليسر ما ينبئ عن روح الإسلام وسماحته؛ بطريقة عملية ما أحرى أهل المنابر والدعاة وأرباب الشريعة أن يتخلقوا بها ويتمثلوها واقعاً عملياً.

(1)رواية شفهية الدكتور غيث الفاخري، 5- 11- 2009م.

كما أبان الشيخ عيسى الفاخري بحكمته وفطنته أن تصحيح العقيدة لدى العامة وبيان بعض البدع والخرافات والتقويم الفكري والسلوكي لا يكون بالنكير والتغليظ على المخالف بطريقة منفِّرة؛ بل يكون بالبيان والتوضيح مع رحمة وإشفاق، وقد أبان ﷺ وبطريقة عملية أن هذا الأسلوب كفيل بتغيير هذه الممارسات الخاطئة، وهو نهجٌ ينبغي أن يُتَّبع في كل مواطن الدعوة سواء منها العقديَّة أو التعبدية، وما أحوج الدعاة اليوم لهذا الرِّفق واللين وخاصة مع الشباب الذين استهوتهم حملات التغريب وأطاحت بقيمهم آلات الانحراف المادي، فهم أحوج ما يكون للقلب الحاني والداعية الرحيم المخلص لله تعالى، وهذا طريق بلا ريب سيؤدي إلى التغيير والإصلاح المنشود.

==========

المصادر والمراجع:

1- الأسماء والصفات، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: عبد الله بن محمد الحاشدي، مكتبة السوادي للتوزيع، جدة، ط1، 1993م.

2- الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء، أبي عمر يوسف بن عبد البَرِّ، عناية: عبد الفتاح أبو غرّة، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ط1، 1997م.

3- ترتيب القاموس المحيط، الطاهر الزاوي، دار الفكر، بيروت، 1980م.

4- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1964م.

5- السنن الكبرى، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد، ط1، 1344 هـ.

6- سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد الربعي القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، (ب. ط).

7- شريط مرئي مسجل من جزئين للشيخ عيسى الفاخري، جمعية الكفيف بنغازي، 1991م.

8- شعب الإيمان، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق : محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1410هـ.

9- الشيخ عيسى الفاخري حياته ومنهجه، سالم فرج صالح رحيل، دار الفضيل، بنغازي، 2010م.

10- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، دار طوق النجاة; 1422هـ.

11- عمر المختار نشأته وأعماله واستشهاده، علي محمد الصلابي، المكتبة العصرية، بيروت 2007م.

12- فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني دار ابن كثير، دمشق، ط1، 1414هـ.

13- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي، دار صادر ، بيروت، 2000م.

14- المجالسة وجواهر العلم، أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، تاريخ النشر، 1419هـ.

15- المدونة الكبرى، رواية الإمام سحنون بن سعيد التنوخى عن الإمام عبد الرحمن بن القاسم، ضبط وتخريج: محمد تامر، كلية دار العلوم، قسم الشريعة مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 2004.

16- مالك حياته وعصره آراؤه وفقهه، محمد أبوزهرة، دار الثقافة العربية، مصر، 1947م.

17- مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: أنور الباز - عامر الجزار، دار الوفاء، ط2، **2005**.

18- نماذج في الظل، علي مصطفى المصراتي، اللجنة الشعبية العامة للإعلام، الطبعة الأولى، 1978م.

روايات شفهية جمعها الباحث وسجَّلها لطلبة الشيخ ورفقائه في برقة:

1- رواية شفهية الشيخ: شريف الشارف ، 21- 5- 2008م، 4-5-2009م.

2- رواية شفهية: الشيخ: محمد رشيد محمد الطنفاري المغربي13-9-2007م.

3- رواية شفهية الشيخ: شريف الشارف 14-1-2009م.

4- رواية شفهية الأستاذ: نصر السنوسي، 24-9-2007م/ 4-5-2009م .

5- رواية شفهية الشيخ: محمد الشريف 24- 9- 2007م .

6- رواية شفهية ناصر محمود مطرود، 21 - 5 - 2008م .

7- رواية شفهية الدكتور غيث الفاخري، 5- 11- 2009م .